الاتصال السياسي عند فيليب برو(*)

ا.م.د بدر ناصر حسين

كلية الآداب / قسم الاعلام / جامعة بابل

٢٠١٨

الآلات الكبيرة ،هكذا وصفها (فيليب برو) بسبب اهمية الصحافة المكتوبة في حياة المنظومات السياسية منذ الثلث الاول من القرن التاسع عشر لابد من التوقف اكثر عند منطق التحكم الخاص بهذه الآلات فالحكام سواء كانوا يراقبونها لا يكفون عن اعطائها تأثيرا كبيرا وكذلك في مواقف الطمع والخشية في الوقت نفسه ،انهم يستعملونها منبرا لرؤيتهم السياسية وتأكيد رؤيتهم الاجتماعية ،ولكن هل نجد ان التصورات الثقافية المتلقة بالنظام الاجتماعي والسلطة هي نفسها منقولة عبر الزوايا الاقل اتصافا بالطابع السياسي في المجلات ؟؟ او لعلها اكثر بعدا واقل انصافا عنما يتعلق الامر بالمراهنات الانتخابية والحزبية

لم يكن للصحافة ان تفرض نفسها دون معارضة منذ فجر الانظام البرلماني في بريطانيا وفرنسا ومع كل المجابهات والعراقيل لم تمنع الصحافة نفسها من تشكيل دورها في الجدل السياسي ،ولعله الضغط عليها قد ولد ظروف اسقاط شارل العاشر الذي فرض نظام مراقبة صارم والذي ادى الى قيام ثورة أسقاطه في عام ١٨٣٠ ومع ذلك لم تصبح الصحافة وسيلة اتصال جماهيري واصبح بإمكان الوصول اليها من الطبقات الشعبية الا في عام ١٨٧٠ ،وبهذا تزودت بتأثير ضخم على المواقف والآراء واشكال السلوك وكانت الرائدة منها صحيفة (Le Petit Journal) تطبع ٣٨ الف نسخة عام ١٨٦٣ وارتفع الى ٣٠٠ الف نسخة في عام ١٨٧٠ وعام ١٨٩٠ بلغت مليون نسخة

وربما كانت انشاء الصحف مبادرات خاصة ولذا فان مراقبة الخط التحريري للصحيفة بدا مرتبطا براس المال وكمشاريع مزدهرة بشكل متباين كانت احقف موضوع بيع وشراء وضمن شروط المنطق التجاري

وتحولت الصحف الاكثر تأثيرا فبما بد الى يد مجموعات صناعية او مالية قوية باستثناء من كان مرتبطا بنقابات او بأحزاب سياسية ،فيما لم تبق للسلطة الحكومية في اية دولة حتى الليبرالية منها مكترثة بالوضع القانوني للصحافة سواء تدخلت من اجل الحد منها قانونيا او سمحاها وتشجيع الاخرين للسيطرة عليها ،فقد اقيمت عليها انظمة الرقابة والحظر .

الواقع الصحافي بعد الحرب العالمية الثانية

تنبؤات الحرب العالمية الثانية بتحولات عميقة على الصحافة ،غيرت من معطيات كلاسيكية للعلاقات بين السلطة والمال وبين الصحافة ،وبعض هذا التبدلات كان تكنولوجيا حيث تطلبت الشروط الجديدة للصحافة والطباعة استثمارات ثقيل ليس بمتناول أي الصحف المعزولة او الضعيفة ببعضها كان اجتماعيا وثقافيا معزولا وحالة من الجمود والعزلة نتيجة تأثير صحف المال والسلطة والتكنولوجيا

ومع الدعوات التي صدرت من اوربا الى مفهوم ((اللات سيس) كانت هناك صعوبات كبيرة واجهتها الصحف واتجاه مركزي قوى الى مركزة الصحف ،اصبحت قضية حرية التعبير تطرح بمصطلحات محدودة ومتجددة ،وظهر ان هناك انفصالا اوضح هذه العلاقة بين الملكية الاقتصادية والخط التحريري ،ففي المجموعات الصحفية الرئيسية يتبنى القادة خاصة استراتيجية صناعية ويتجهون لترك استقلال مهني اوسع لمدير التحرير ويحص من جهة اخرى ان تمتلك المجموعة نفسها صحفا لديها تقليديا حساسيات متضادة وبالعكس فقد حدث تأكيد معين للسلطة الصحفية ،وبالرغم من ان صيغة جمعيات المحريين التي تدير الصحيفة بشكل منفرد او مشترك لم تنجح في الواقع من فرض نفسها باستثناء صحيفة (لوموند)منذ عام ١٩٥١ وفي تقديم المعلومات تتجه للانتصار معايير مهنية بحتة تجعل التدخلات الخارجية لمنظومات المشاهير او للسلطة الاساسية اكثر وعورة ،فيما بدا ان السلطات العامة لعلها ستعلق الآمال على متغيرين جديدين(الاذاعة و التليفزيون) سيكون لهما اثر في تخفيف الرقابة على الصحافة المكتوبة ،وفي البلدان الديمقراطية عندما

تتطور الاخلاق بشكا او باخر سيكون له تأثيره ايضا في تضعيف المراقبات الخارجية على اقلام الصحفيين

يذهب(فيليب برو) الى ان الاذاعة والتلفزيون قد جابهت مشاكل مختلفة ،ويبدو ان هناك احساسا خفيا بقوة ومكانة ومستقبل هاتين الوسيلتين كقوة مخيفة اكثر من غيرها ،وذل بدا الاهتمام اكبر وعن قرب لهاتين الوسيلتين وفي العديد من البلدان تحملت هياءات عامة اعباء الاذاعة التلفزيون وذلك خلافا لصيغ المشاريع التي سادت منذ الاصل في الولايات المتحدة ،فقد فرضت فكرة المرفق العام نفسها اولا في ميدان النقل عبر الامواج (الشبكات الهرتزية) ،وكان الحكام يقدمون حججا امنية وذات علاقة النظام العام (تجنب الفوضى باستخدام الترددات)ومع ذلك فقد برزت حتى في فرنسا تسامحا ت ازاء محطات الاذاعة والتلفزة التي تبث من الاقاليم المحيطة ، فيما تم تقديم حجج اخرى لصالح الحفاظ على الاحتكار لمجموع نشاطات التلفزة (والاذاعة استطرادا)الدفاع عن نوعية البرامج التي ستكون مهددة اذا كان على التلفزة ان تخضع نفسها لمعايير تجارية بحتة وتخضع لها في الجزء الاساسي من مواردها ،وتلعب حجة المراقبة السياسية التي تقدم بمقدار غالبا بمقدار اقل نسبيا دورا حاسما في الحركة الداعية الى للحفاظ على الاحتكار ،سواء تعلق الامر بالتعويض عن (مساوئ صحافة ناقدة ...على حد تعبير ديغول) بتلفزة طيعة ..ام اخيرا بالرغبة بكل بساطة بالمحافظة على مراقبة مباشرة على وسيلة دعاية فعالة (وهى حجة لا يعترف بها اغلبية الحكام)

النمو الضخم لوسائل الاعلام

لقد حدث النمو المتعاظم لتكنلوجيا وسائل الاعلام وتعدد الاقنية تحديات ليس من السهولة مواجهتها او تجنبها ،فتخفيف الروابط مع الدولة اليوم هو القاعدة العامة في البلدان المتقدمة ،فقد اكتسب العاملون في وسائل العلام قدرات فائقة بالتحول الى سلطات مضادة وهم ينتظمون بشكل اكبر وافضل ،مع ام الدولة فضلت عموما امام تضخم الانفاق اللجوء الى تلك الموارد غير المؤلمة المتمثلة بإيرادات الإعلانات ،ولذا يتضمن هذا الامر

خضوع منتجي البرامج للمجموعات المالية العاملة في هذا الميدان اقل من خضوعهم للجمهور وتوقعاته

مجتمع الاتصال اليوم

دخولنا المتوقع لعالم الاتصال ومجتمعات الاتصال ،هل يشجع على الديمقراطية ،لعل ديفيد بروي نبؤنا بخطورة التمسك بهذه القاعدة التي تتعارض مع الأثار الضارة وخاصة مفهوم الاشباع الاعلامي التي لا يمكن التقليل من اهميتها ،فنحن اليوم امام انتاج (الابتذال – اللامبالاة – وشلل الحكم تحت تأثير الرسائل المتناقضة) فالاستقلال المتنامي للآلات الاعلامية لا يتضمن استبعاد ظاهرة التلاعب ومن الصعب توضيح بوضوح نتيجة تعقد الروابط التي توحد بين عالم وسائل الاعلام القومية والدولية وعالم الاعمال او السياسة

ان (اريك نوفو) .. الذي يندرج ضمن هذا المنظور يكتب على سبيل المثال ((عندما يتم اختزال العديد من شرور العالم الغربي الى حد اعتبارها من اثار الاتصال السيء فام كلمات مثل الظلم – اللامساوات – والسيطرة – البؤس – الغش) هي التي يتم تفريغها من المعنى ومن القوة التعبيرية

دور وسائل الاعلام في التكيف السياسي

اثارت الاهمية التي نالتها الدعاية الاذاعية في فترة ما بين الحربين ولاسيما في المانيا الهتلرية انتباه الباحثين في العلوم الاجتماعية وفي وقت مبكر جدا ،هل كانت وسائل الاعلام الجديدة في طريقها لتصبح السلاح المطلق في أيدى الديكتاتوريين المهتمين بالتحكم بشعوبهم (فقد مثل كتاب تشاكوتين (اغتصاب الجمهور بواسطة الدعاية السياسية)الصدى الكبير لهذه المقولة فهذا القلق هو سيكون نقطة الانطلاق للأدب العلمي الذي ستتطور اشكالاته فيما بعد

فالطريقة البسيطة جدا التي يتم من خالها النظر الى وسائل الاعلام والى تأثيراتها تكمن في سجل الخيبات المسجلة فقد كانت التحقيقيات تتجاهل

البعد الاجتماعي للاتصال أي أساليب ادراج المتكلمين والاتجاه ، والمرسل اليهم في النسيج الاجتماعي وكذلك في علاقات التفاعل المتبادلة التي تنعقد فينا بينهم فالقارئ الذي يتلقى معلومة في نزاع اجتماعي على سبيل المثال يدركها بشكل مختلف تبعا لما تكون متفقة ام لا مع اساليب التفكير الخاصة بالوسط المهني الذي ينتمى اليه او بيئته المحلية ،ولهذا فانه يكون غير مبال بالاضطرابات التي تبثها الاخبار التليفزيونية ، فالرسائل المقنعة هي تلك التي توجه الانفعالات والرغبات الموجودة سابقا ،ومع ذلك فان هناك مكسبين هامين يبقيان صحيحان :

- **الاول ان هناك نماذج نفسية لأفراد يكون قابلين للتأثر اكثر من غيرهم اولئك يسميهم(دافيد ريسمان) الموجهون من قبل الاخرين)فالتقدير القوى للذات يعزز مقاومة الدعاية والاغراء الشكلي للخطاب وحتى تمجيد القيم الغربية عن اخلاق الفرد والعكس فان الافراد الاكثر قابلية للتأثر يكونون عموما فريسة للشك والارتياب سواء على الصعيد الفكري ام الوجودي ،الا انه لا ينبغي توضيح ان التقدير القوي للذات لا يكون متلازما بشكل الي مع المستوى الثقافي الجيد وهو يرتكز على عوامل نفسية ونفسية اجتماعية مترابطة بطريقة معقدة (كرينبرج)**
- **المكسب الثاني : فهو اسلوب سير الاقناع ،فقد لخص (اليهو كاتز)منذ عام ١٩٥٥ قضية تأثير وسائل الاعلام باقتراحه نموذجه المسمى (التدفق او الاتصال على خطوتين)فقادة الراي العام هم الاكثر تيقظا لرسائل وسائل الاعلام وهم خاضعون لبعضهم البعض في تقديماتهم وآرائهم وبدورهم يبثون هؤلاء رسائل تتعلق برموز ثقافية متشابهة بالرغم من فوارقها وتناقضاتها**

في هذه المقاربات تنجز بعض المعطيات واهمها كما يراها (ديفيد برو)

١-يدرك وسائل الاعلام في مجال التكيف السياسي كدور مكثف بشكل استثنائي ،فالجديد التكنولوجي في هذا الميدان المتمثل بالانتقال من كوكبة (غوتنبرغ)الى كوكبة (ماركوني) نصب كسب حقيقي للتغيرات الثقافية ،مما سهل انبثاق الامبراطوريات البيروقراطية

الاولى (مصر الفرعونية) فان المطبعة سهلت انتشار الاصلاح البروتستانتي في المانيا والصحافة اليومية الشعبية نشاط الدعوات القومية الاوربية كما عملا التلفزة من جهتها على انهيار التمييز بين العامة والخاصة

٢- اعطى الانفجار الاعلامي سنوات السبعينات والثمانيات في البلدان الصناعية المتقدمة الحق جزئيا فبدل ان تبقى ادوات طيعة في خدمة الاقتصاديين والسياسيين على ما يبدو انه منطق داخلي لا يمكن لأي شخص ان يتحكم به كليا ،وهل يعنى هذا مع ذلك بان هذه الوسائل الاعلامية التي تتحكم برايه بوجود معاصرينا بقوة تنجو هي نفسها من كل تكيف اجتماعي ،، سؤال لماكلوهان الذي فتنته التكنولوجيا وابعادها ...لم يكن الرجل متسلحا للإجابة عن هذا السؤال ؟؟

٣- التفاعل – وسيط – رسائل – جمهور والقضية المركزية من الجيل الثالث من البحوث حول الاتصال السياسي فلقد وضع (جان بوديللار) في هذا الموضوع بان الرهان في موضوع وسائل الاعلام السمع بصرية بشكل خاص لن يكون(الرسالة) نفسها ،وانما واقع ان هذا الفرد يتصل وذاك يستمر بالاتصال وهذ ما يسميه بالوظيفة الشعورية (ان هناك صورة معممة) فالخطاب الاعلاني سواء كان سياسيا ام لا ليس عليه اولا ان يكون خطابا صحيحا ام خاطئا فرهانه الحقيقي هو ان يكون عملياتيا في قدرته على الاقناع

٤- مع اعمال البريطاني(سيتورات هال) يتجه الجهد للتفكير اجمالا بقضية التكيف من خلال وسائل الاعلام الى حد اخذ الابعاد الاجتماعية الكلية والجزئية بالحسبان في ان واحد ،ان سيرورات ترميز الرسائل الشكل والاسلوب والبنية الروائية المضامين الصريحة الخ تكون مكيفة اولا من قبل الوسيط وهي تتجلى بشكل خاص في اكراهات الحيز المكاني في لصحافة المكتوبة واكراهات الوقت في التلفزة كما تتجلى ايضا بقدرات الاستقبال الثقافية لدى المرسل هم اليهم الا ان الجمهور المستهدف يكون غالبا مجزءا

وتتجلى اخيرا بالتحديدات الاقتصادية والسياسية التي تثقل على الوسيط

٥- ان الاثار المباشرة وعلى المدى القصير للرسائل المبثوثة لا تعني كما سيبدو الا عدد قليلا من الاشخاص الذين ترسل اليهم وهى اساسا اثار تأكيد او تنشيط ،؟فالخطب التي تتجه في الحملة الانتخابية الى إيقاد الهوية اليسارية او بالعكس العداء للاشتراكية تمارس تأثيرها على جمهور جاهز مسبقا لسماعها

٦- تجب الاشارة الى قدرة وسائل الاعلام التي تعمل من خلال ترابط عميق ومتبادل على بناء تمثلات الواقع السياسي اي ما ينبغي التفكير فيه الحدث الهام هو الذي يصنع العناوين الضخمة وما لامجال هناك للتفكير فيه : الاشياء التي لا تستحق الذكر والمواضيع الغائبة وهذا العمل لا يمارس على الجمهور فقط وانما ايضا وغالبا بالخصوص على الفاعلين السياسيين (مرشحون في الحملات الانتخابية ..قادة ..مؤسسات

٧- ان وسائل الاعلام تلعب دورا على صعيد التكامل الاجتماعي ايجابيا او سلبيا وهى بتخصيصها مكانا واسعا للأخبار الحالية تساهم في بناء تاريخ وذاكرة مشتركة وفيما يتعلق بالتلفزة بشكل خاص فان لوسائل الاعلام القدرة على ان تعلق احيانا مجرى الحياة اليومية بتركيزها لانتباه جمهور واسع جدا على احداث ذات مردود مسرحي كبير (مثال ..الطقوس الملكية البريطانية ..المنافسات الرياضية ...العنف في المدن ..الخ وهكذا فان معالجاتها للنزاعات الاجتماعية والسياسية والعرقية يمكن ان تساهم في تجيحي الانفعالات او بالعكس اخفاء العداوات

٨- لا يمكن التقليل من اهمية الاتصال المباشر الذي تنظمه التلفزة بين القادة السياسيين والجمهور فتساهم بذلك في تعديل اساليب العمل الداخلية للأحزاب ومجموعات المصالح

(*)فيليب برو : لم اجتماع السياسي :ترجمة د محمد عرب صاصيلا ط٢ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ٢٠٠٦

(*)

فيليب ن. هوارد ، باحث في علم الاجتماع والاتصالات ، يدرس تأثير تقنيات المعلومات على الديمقراطية وعدم المساواة الاجتماعية . يدرس كيفية استخدام تقنيات المعلومات الجديدة في كل من المشاركة المدنية والرقابة الاجتماعية في البلدان حول العالم. وهو أستاذ في دراسات الإنترنت في معهد أكسفورد للإنترنت وكلية باليول بجامعة أكسفورد . وهو مؤلف لثمانية كتب ، بما في ذلك الحملات الإعلامية الجديدة و "المواطن المُدار" ، والأصول الرقمية للدكتاتورية والديمقراطية

،

تعليم

شهادة الدكتوراة علم الاجتماع ، جامعة نورث وسترن ، ٢٠٠٢

ماجستير الاقتصاد ، كلية لندن للاقتصاد ، ١٩٩٤

بكالوريوس العلوم السياسية ، كلية إينيس ، جامعة تورنتو ، ١٩٩٣

المناصب الأكاديمية

من عام ٢٠١٦ إلى الآن الرئيس المنتدب وزميل الأستاذية ، معهد أكسفورد للإنترنت ، كلية باليول ، جامعة أكسفورد

٢٠١٣-١٦ أستاذة مؤسّسة في السياسة العامة في جامعة أوروبا الوسطى في جامعة أوروبا الوسطى

٢٠٠٨-٢٠٠٩ زميل في مركز الدراسات المتقدمة في العلوم السلوكية في جامعة ستانفورد

٢٠١٠-٢٠١٢ زميل في كلية وودرو ويلسون للشؤون العامة والدولية في جامعة برينستون

٢٠٠٢-٢٠١٢ مساعد للأستاذ المتكامل في الاتصالات والمعلومات والشؤون الدولية في جامعة واشنطن

الجوائز والتكريمات

٢٠١١-٢٠١٣ ، زميل ، مركز سياسات التكنولوجيا ، جامعة برينستون

جائزة أفضل كتاب ، قسم تكنولوجيا المعلومات والسياسة ، الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية ، ٢٠١١

٢٠٠٨-٩ ، زميل ، مركز الدراسات المتقدمة في العلوم السلوكية ، جامعة ستانفورد

جائزة الكتاب المتميز لعام ٢٠٠٨ ، رابطة الاتصالات الدولية

جائزة أفضل كتاب لعام ٢٠٠٦ ، قسم تكنولوجيا الاتصالات والمجتمع ، الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع

كتب

Howard، Philip N. Pax Technica: How the Internet of Things May Set Us Free or Lock Us Up . مطبعة جامعة ييل ، ٢٠١٥. نشرت أيضا في الألمانية والصينية.

هوارد ، فيليب ن. (محرر). State Power 2.0: التخندق الاستبدادي والمشاركة المدنية في جميع أنحاء العالم. Ashgate Press، 2013.

Howard، Philip N.، Coauthor)). موجة الديمقراطية الرابعة؟ الوسائط الرقمية والربيع العربي. مطبعة جامعة أكسفورد ، ٢٠١٣.

هوارد ، فيليب ن. كاستيلز على وسائل الإعلام. الصحافة السياسية ، ٢٠١١.

Howard، Philip N. The Digital Origins of Dictatorship and Democracy: Information Technology and Political Islam. مطبعة جامعة أكسفورد ، ٢٠١١.

هوارد ، فيليب ن. (محرر). دليل السياسة على الإنترنت. روتليدج ، ٢٠٠٩.

Howard، Philip N. New Media Campaigns and the Madaged. مطبعة جامعة كامبريدج ، ٢٠٠٦.

هوارد ، فيليب ن. (محرر). المجتمع عبر الإنترنت: الإنترنت في السياق. سيج ، ٢٠٠٤. كما نشرت باللغة الإسبانية.

مقالات وصحافة

(*)tps://en.wikipedia.org/wiki/Philip_N._Howard